تحت ظلال السيوف

عثمان أبكر عثمان

تحت ظلال السيوف

عثمان أبكر عثمان

اهداء

لأمي لها الرحمة والمغفرة كلتوم رمضان وأبي أبكر عثمان عبدالله
وأخواني وأختي
العزيزة..علي..محمد..يحي..ادريس..عمامة..خليفة..عبدالله..ابراهيم..
خلف الله.

المقدمة

إن المؤرخين يقولون: التاريخ يعيد نفسه، ونحن نقول: سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، هذه هي سنة الله تعالى في الأمم، وخاصة في الأمة الإسلامية، كل حياتها كرٌ وفر، وكل مواقفها إقبال وإدبار.

قبل ألف سنة بالضبط من الآن اجتمعت أوروبا شرقها وغربها وشمالها وجنوبها في غارة واحدة على العالم الإسلامي، جاءت الجيوش من بولندا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وما بقيت ـ تقريباً ـ قطعة في أوروبا إلا وتدفقت منها الجيوش استجابةً لداعي تلك الحملة الهوجاء التي بدأها أول من بدأها البابا "قريقور السابع"؛ الطاغية المشهور، ثم خلفه البابا "أرذان الثاني" ومعه المدعو "بطرس الناسك".

بطرس الناسك هذا المشهور جداً في تاريخ الحروب الصليبية، ماذا فعل..؟ لقد ركب حماراً وطاف به أرجاء أوروبا داعياً الأوروبيين إلى حرب صليبية دينية على المسلمين الذين

انتزعوا منهم بيت المقدس، والذين يهينون الحجاج النصارى ويسيئون إليهم.

لقد رفع عقيرته بهذه الدعوة الخبيثة؛ فاستجابت له جموع من الوحوش الضواري، يعترف التاريخ كله شرقيه وغربيه أنهم كانوا مجموعات من الوحوش والرعاع والهمج الذين لا يضبطهم ضابط، ولا يردعهم رادع من خُلق أو دين، وإنما هو تعصب حاقد جمَعَهم؛ فانسالَت هذه الجموع وتدفقت إلى المملكة البيزنطية أو الإمبراطورية الشرقية، ومنها إلى بلاد الشام حيث بدأت تلك الحروب التي تسمى الحروب الصليبية، واحتلوا مواقع كثيرة أهمها ـ بلا ريب ـ "القدس" التي دانت وخضعت لهم قرابة قرن؛ حتى حررها الله سبحانه وتعالى واستنقذها بـ "صلاح الدين الأيوبي".

الفصل الأول

كونتية الرها

Comitatus Edessanus

1098-1150

هي كونتية أسسها الكونت بلدوين الأول في الرها عام 1098 وكانت كونتية الرها أولى الدول الصليبية التي تأسست في الشرق إبان الحملة الصليبية الأولى، إذ قام بلدوين الأول بالانعطاف شرقا بجيشه أثناء حصار انطاكية إلى الرها شمال غرب سوريا التي سرعان ما سقطت في يده، مؤسسا بذلك أول امارة صليبية في الشرق الأوسط في (ربيع الأول سنة 491 هـ، فبراير 1098 م)، وفي تلك الأثناء استولى بوهمند أحد القادة الصليبيون على انطاكية واسس فيها الامارة الثانية ثم استولى ريموند صنجيل على طرابلس واسس فيها الامارة الثالثة، وكانت الثلاث إمارات تابعه إسمياً لمملكة بيت المقدس لم يكد يمر عامين على تاسيسس الامارة حتى غادرها بلدوين إلى مملكة بيت المقدس لكي يصبح ملكا عليها فتولى حكم الرها بلدوين دي بورغ حتى سنة 512 هـ /1118 م ثم تبعه جوسلين الأول ثم جوسلين الثاني حتى سنة 539 هـ/1144م وهو تاريخ سقوط المدينة في يد عماد الدين زنكي امير الموصل وكانت إمارة "الرها" واحدة من أهم الإمارات الصليبية في المشرق، وذلك لقوة تحصيناتها، ونظرًا لما كانت

.

تسببه من تهديدات وأخطار على لمناطق الإسلامية المجاورة لها.

الحملة الصليبية الأولى:

دعا البابا أوربان الثاني سنة 1095م لحملةٍ عسكريّة ضد المسلمين لتخليص الأراضي المقدسة والقدس منهم وإرجاعها تحت الحماية المسيحية، والتي تُعرف بالحملة الصليبية الأولى من عام 1096م لغاية 1099م، شارك فيها عددٌ كبير من قادة الولايات الصليبية في أوروبّا، حيث اجتمع أمراء الحملة الأولى في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية القسطنطينية عام 1097م، ثم توجهوا نحو بيت المقدس، وفي طريقهم احتلوا مملكة الرها وإمارة انطاكيةعام 1098م، فأكملوا زحفهم نحو بلاد المقدس حتى وصلوها واستولوا عليها عام 1099م، بعد حصار للقدس ما يقرب الأربعين يومًا، فاعلنوا تأسيس مملكة بيت المقدس وعدد من الممالك الصليبية في المناطق المجاورة لها، دام احتلال الصليبيين لبيت المقدس وما حولها ما يقارب القرنين، وهذا المقال للتعريف بتاريخ مملكة الرها.[١] تاريخ مملكة الرها وللتعريفِ بتاريخ مملكة الرها.

فهي مملكة قديمة شمال بلاد الشام، وتُعد أول إمارة حكمها الأباجرة في المشرق حتى الاحتلال الروماني لها، أطلق عليها اسم الرها نسبة لقبيلة "أورهي" التي تأتي منها سلالة الأباجرة، وذكر جان ريستو أنّ القبائل العربية كانت متواجدة في مملكة الرها، وقال المؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر في القرن الأول للميلاد: إنّ سكان الرها هم من العرب وتسمى المنطقة "بالعربية"، وذكر في السريانية عربايا أي "العربية"، فجميع سكان الرها من العرب، حيث ودت نقوش عربية ترجع للقرنين الثاني والثالث الميلادي وتحيدًا في "سوماتار هارابيسي"، ويقول المؤرخون حول تاريخ مملكة الرها أنّ الرها اعتنقت المسيحية سنة 200م لتعد أول مملكة مسيحية في العالم.

ولغتها الرسمية هي السريانيّة وتسمى أيضًا لغة الرها، موطن نشؤ السريانية وانتشارها يرجع تاريخ مملكة الرها للفترة الآشورية والبابلية، حيث عرفت في الحوليات الآشورية "بأدما"، كما مر بها الطريق الملكيّ بين ساردیس وسوسا خلال فترة الإمبراطورية الأخمينية من 550-330ق.م، وبعد احتلال الإسكندر المقدوني لمدينة الرها اصبحت مركز غزو الثقافة الهيلينية للمنطقة، حيث ورد في مخطوطة زقنين أنّ الفرس احتلوا الرها واعلنوا تأسس مملكة الرها سنة 135ق.م، وجعلوا من أسرة الأباجرة ملوكًا عليها.

عندما دخل الرومان

الشام سنة 64ق.م، كانت مملكة الرها منطلق اهتمامهم، برغم من أنّها تحت النفوذ الفارسي، فأسسوا علاقة قوية مع الأباجرة، واتحدوا بحملة ضد الفرس انتهت بهزيمة الروم، وفي الحديث
حول تاريخ مملكة الرها يجدر بالذكر أن سبب احتلال الروم لمملكة الرها هو غدر ملك الرها بالروم أثناء حصول خلافات داخلية بين قادة الروم، فقام سبتيميوس باحتلال مملكة الرها وجعلها ولاية تابعة لروما، وألغيت مملكة الرها بشكل نهائي سنة 213م.

الفتح الإسلامي لمملكة الرها

وفي الحديث عن تاريخ مملكة الرها، لا بدّ من ذكر الأمم التي تعاقبت عليها، حيث لم تَبقَ الرها رهينة الفرس والروم بل دخل المسلمون ساحة المنافسة، فإقليم الجزيرة الفُراتيَّة يُعدّ قاعدةً عسكريَّةً روميَّة مُهمَّة وضخمة ومجهزة لمواجهة أي هجوم يأتي من بلاد فارس، وبعد فتح المسلمين لمعظم بلاد الشام والعراق، شكل الإقليم ثغرة خطرة على المناطق حديثة الدخول في الدولة الإسلامية، وخوفًا من استخدام الروم لهذه المناطق في حملات عسكرية ضد المسلمين واسترداد الأراضي التي فتحوها، وايضًا حصول تحالف بين الفرس والروم ضد المسلمين، ففتحُ الجزيرة الفُراتيَّة يأتي لتثبيت الفتوح الإسلامية في بلاد الشام والعراق، وحماية المكتسبات الإسلامية وقطع علاقة القبائل العربية المسيحية مع بيزنطة لوقف تجنيدهم في الجيش البيزنطي، ومنع وصول المدِّ الأرمنيّ لهرقل.

[٣] ففي عام 18هـ قام الخليفة عُمر بن الخطاب على تولية الصحابي عياض بن غنم على مناطق حمص والجزيرة وقنسرين، فخرج في عام 18هـ/639م على رأس الجيش باتجاه الرِّقَّة فحصارها وفتحها صُلحًا، وتقدم نحو إمارة الرها واقام معسكرًا على أحد أبوابها وقاوم أهلها المسلمين، وفي اليوم السادس طلب قائد الحامية الرومية الصُلح، فوافق الصحابي عيَّاض بن غنم واعطى الأمان له ولأهل المدينة على أنفُسهم وأموالهم، وقبلوا بدفع الجزية والخِراج، ثُمَّ توجه نحو حرَّان فصالح أهلها على شروط صُلح الرها، وبعث بفرقةٍ عسكريَّةٍ فتحت سميساط، فطلب أهل المدن الأخرى الصُلح بِشُروط صُلح الرها مثل: وقرقيسيا تل موزان وماردين وآمد، فوافق عيَّاض بن غنم، وفي العام التالي سقطت كامل الجزيرة الفُراتيَّة بيد المُسلمين، وهكذا دخل المسلمون في سجل تاريخ مملكة الرها بعد .

الفرس والروم.

الاحتلال الصليبي:

للرها وبعد الحديث حول تاريخ مملكة الرها والفتح الإسلامي لها، قام الصليبيون باحتلال الرها إبّان الحملة الصليبية الأولى في ربيع الأول سنة 491هـ فبراير 1098م، وتُعدّ أول إمارة صليبية في العالم الإسلامي، حيث قام بلدوين الأول أثناء حصار انطاكية بالتوجه بجيشه شرقا نحو الرها بجيشه، لكن سرعان ما سقطت الرها في يده، فأسس على إثرها بلدوين الأول كونتية الرها أو إمارة الرها، وذكر المؤرخون في تاريخ مملكة الرها أنه وأثناء سقوط الرها استغل الصليبيون ضعف المسلمين في تلك الفترة وقاموا بالاستيلاء على انطاكية على يد القائد الصليبي بوهمند حيث أسس الإمارة الثانية، وتلاها تأسيس الإمارة الثالثة على يد ريموند صنجيل بعد الاستيلاء على طرابلس.[٤] كانت الإمارات الثلاثة تابعةً لمملكة بيت المقدس، ولم يمضِ عامان على حكم بلدوين حتى غادرها إلى مملكة بيت المقدس؛ وذلك لتنصيبه ملكًا .

عليها، ونصب بلدوين دي بورغ حاكمًا على الرها حتّى سنة 512هـ/1118م، ثم جوسلين الأول وتبعه جوسلين الثاني آخر حكامها حتى سنة 539هـ/1144م.[٤]

تحرير الرها من الصليبيين:

أثناء الاحتلال الصليبي للرها، كثُرت التحرّشات والاستفزازات والانتهاكات من قبل جوسلين كونت الرها ضدّ المسلمين وممتلكاتهم، حيث لم يغفل عماد الدين زنكي عن أفعاله العدوانية ضد المسلمين، وبالحديث حول تاريخ مملكة الرها يجدر الذكر أن عماد الدين زنكي محرر الرها من الصليبيين-، لكنّه هو انتظرَ الفرصة المناسبة للقضاء على الإمارة الصليبية، لتشكيلها تهديدًا مباشرًا له، وشوكة في تحرير جنوب الشام مركزهم الصليبيين، فعمل على إعداد خطة محكمة وبسرية التامة، ولم يُظهر لجوسلين سوء نية لضمان نجاح الخطة؛ فهو يتصف بالغدر والقسوة والشجاعة والدهاء وذو كفاءةً قياديةً وإداريةً عالية، فَعِلمُهُ بالخطة يُعني استنفار الصليبيين.

ومضمون الخطة كان بمباغتة المدينة بشكل مفاجئ، وفي وقت لا يتوقعه جوسلين، والضغط على المدينة لاستسلامها بأسرع وقت قبل أيّ تدخّل من القوى الصليبية المجاورة.[٥] ففي نوفمبر عام 1144م خرج عماد الدين زنكي من الموصل شمالًا بحجة بغزو ديار بكر في أعالي دجلة، وكان ينتظر خروج جوسلين لإمارة إنطاكية للاحتفال بأعياد الميلاد، وكان جوسلين مطمئنًا لاعتقاده أنّ عماد الدين خرج لديار بكر، وعند مغادرة جوسلين اتجه المسلمون غربا، وارسل عماد الدين لأمير حماه بتوجيه قواته نحو الرها، فأطبق الجيشان على مدينة الرها في 28 نوفمبر 1144م، وأحكم حصارها، وفتحت الثغرات في سور المدينة وشنت القوات الإسلامية هجماتها، واستمر الحصار أربعة أسابيع، وعند عودة جوسلين لجأ إلى قرية مجاورة ينتظر المدد من إنطاكية ومملكة بيت المقدس، إلا أن الجيوش الصليبية وصلت بعد أن فتح المسلمون المدينة

كان لمباغتة القلعة دورٌ حاسم في سرعة سقوطها بيد المسلمين، في وقت لم تكن القلعة مستعده لحصار طويل، دخل عماد الدين مدينة الرها، وطلب بإعادة ما أخذ من أهلها دون وجه حق، وعدم التعرض لكنائسهم، وقابلهم بالمعاملة الحسنة والعدل، وكان نموذجًا للقائد المسلم في تواضعه وسماحته وعفته، وعاد الأذان للمدينة بعد توقف دام نحو خمسين عاماً من الاحتلال الصليبي، وغادر عماد الدين المدينة بعد عودة الطمأنينة إلى أهلها، وترميم أسوارها، ووضع حامية للدفاع عنها، وتزودها بعتاد ووسائل دفاع ومؤن، وفيما تقدّم حديث موجز ومفصّل حول تاريخ مملكة الرها التي تعاقبت عليها عدة أمم وحضارات لمكانتها وموقعها الاستراتيجي الذي جهل هذه الأمم تتنافس للظفر بها.

الفصل الثاني

إمارة أنطاكية
Principatus Antiochenus
1098-1287

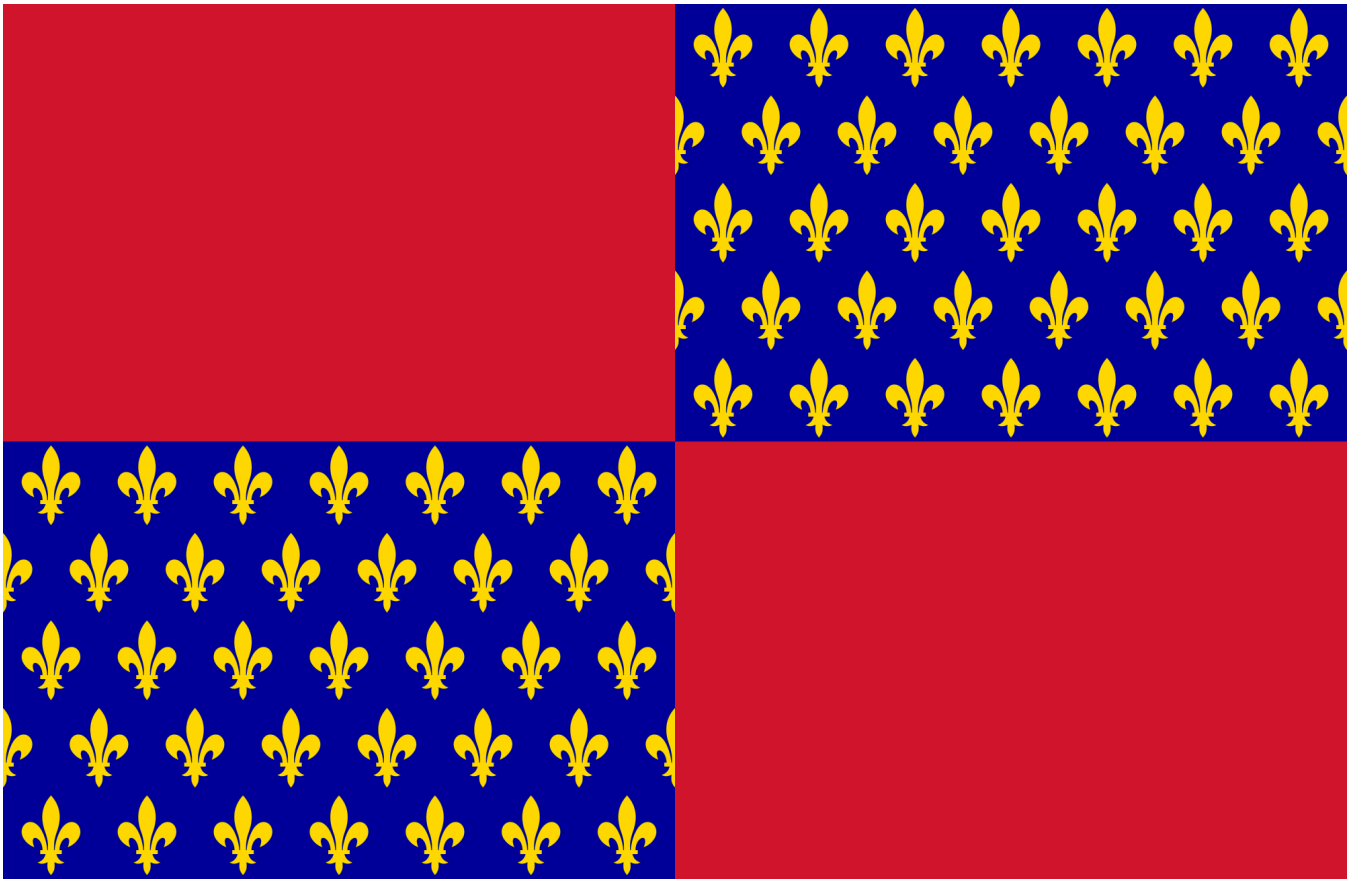

علم أنطاكية

إمارة أنطاكية: هي دولة تم تأسيسها بعد الحملة الصليبية الأولى التي قام بها الصليبيون على مدينة أنطاكية، وقد استمر حكمها تحت الحكم الصليبي قرابة المائة عام وذلك بعد قيام الممالك بالسيطرة عليها، تعتبر أنطاكية أول مملكة أسّسها الصليبيون في منطقة الشرق والتي كانت تتمتع بموقع تجاري في تلك المنطقة.

إمارة أنطاكية:

كانت بداية سيطرة الصليبيين على مدينة إنطاكية عندما كان الصليبيين متوجهين إلى آسيا الصغرى للقيام بعملية تأسيس مملكة صليبية لهم، فقام الجيش الصليبي بالتوجه نحو أنطاكية والتي كانت واقعة في ذلك الوقت تحت حكم المسلمين، فبدأت القوات الصليبية بعملية حصار أنطاكية ومنعت أي شخص بالدخول أو الخروج، وقد كانت عملية حصار أنطاكية فترة طويلة.

والتي أخذ الجنود الصليبيين يشعرون بالجوع وخاصةً في فصل الشتاء؛ ممّا اضطرهم ذلك إلى أكل الجياد الخاصة بهم، فتم بعد ذلك دخول الصليبيين إلى داخل المدينة والذي أدى دخولهم إلى حصول مذبحة بينهم وبين المسلمين.

بعد مدة الحصار الطويلة التي قام بها الصليبيين قام أمير الموصل بالذهاب إلى أنطاكية وقام بمحاصرة الصليبيين، فوجد الصليبين أنفسهم محاصرين من داخل وخارج المدينة ولا يوجد لديهم الغذاء يأكلونه وأصبحوا حينها يشعرون بالضعف لطول فترة الحصا؛ ممّا دفعهم ذلك إلى طلب السلام من الأمير "قوام الدين أبو السعيد" أمير أنطاكية، إلا أنّه رفض طلبهم ومنعم من الخروج إلا من خلال القتال، فرأى قائد الصليبيين بأنّه لا يمكنه الخروج للقتال وحمل السيف، فقام بإقناع جنوده بأنّ حربة المسيح التي تم طعن المسيح فيها موجودة في أنطاكية، فقام برفع معنويات جنوده حتى قام بالوقوف إلى جانبه.

بعد المعنويات التي حَصل عليها الجنود الصليبيين وقناعته بوجود الحربة الصليبية في أنطاكية قاموا بالدخول إلى أنطاكية وعَملوا على تفريق المسلمين وإضعاف قوتهم، وسقطت مدينة أنطاكية في أيدي الصليبين بعد أن قاموا بهزيمة المسلمين، ولكن بعد عملية سيطرتهم عليها بدأوا يواجهون المشاكل والتي من أهمها من سوف يقوم بالسيطرة على المدينة، حيث بدأ الأمراء الصليبيين يتنافسون على حكم أنطاكية، في كل أمير كان يرى هو الأحق في الحكم، وكانت سوف تصل بينهم إلى الصراع المسلح إلى أن قاموا بالاتفاق على عملية تقسيم المدينة فيما بينهم.

سقوط أنطاكية:

قامت القوات الصليبية بمحاصرة أنطاكية خلال فصل الشتاء وقد كان الصليبيون يعانون من قلة المونة لديهم، كما كانت هناك عدة خلافات بين القادة العسكريين للحملة؛ ممّا دفع أمير حلب إلى استغلال ذلك الخلاف والقيام بالتصدي للقوات الصليبية أثناء فترة الحصار، ولكنه لم يتمكن من هزيمته وخاصةً بعد حصولهم على التعزيزات العسكرية من إيطاليا، فتمكن الصليبيين من التصدي لذلك الهجوم وبقائهم في مكانهم محاصرين أنطاكية.

كانت تعتبر مدينة أنطاكية من المدن التي تم بناؤها بشكل جدران منحدر، فلم يكن بمقدرة أية قوات عسكرية من الدخول إليها، في تلك كان الصليبيون يقيمون بالقرب من القلعة، حيث كانوا يدعون بأنّهم يقومون بحماية أسوار المدينة من الهجمات المضادة، ولكنهم في الواقع كان يكون لهم وقاموا بتسليم المدينة إلى أعدائهم، فقام القائد الذي قوم بحماية أسوار المدينة بالاتفاق مع الأعداء وقام بفتح أبواب المدينة أمام القوات الصليبية.

، والذين قاموا وعده بإعطائه الذهب والأموال مقابل فتح الأبواب لهم؛ ممّا أدى ذلك إلى غضب الحاكم وقام بمعاقبته.

تمكن الصليبيون من دخول مدينة أنطاكية عبد عملية الخيانة التي تمت، وقاموا بنشر القوات الصليبية في جميع أنحاء أنطاكية، خلال تلك العملية قام سكان المدينة بالتصدي لعملية الهجوم، لكنهم لم يتمكنوا من مقاومة القوات الصليبية والتي كانت تكثرهم عدداً، فتمكن الصليبيين من السيطرة على مدينة أنطاكية بعد مدة حصار طويلة.

بداية سيطرة الصليبيون على أنطاكية:

في بداية حملات الصليبيين كانوا يسعون إلى عملية توسعة أراضيهم ومملكتهم، فبدؤوا في ذلك الوقت بعمليات حرق الزرع والتخريب، وقاموا بطلب المساعدة من إيطاليا، ثم قاموا بالدخول إلى مدينة اللاذقية والتي كانت تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية حينها، فقاموا بإخراج حاكمها منها وأخذوا يستولون على المدن الواحدة تلو الأخرى، ومن ثم قام الصليبيون بتجهيز جيوشهم والذي تم تمديدها لهم من قِبل إيطاليا، فأخذوا حينها بالتوجه إلى الإمبراطورية البيزنطية، إلا أنّهم تم هزيمتهم من قبل الروم؛ ممّا جبرهم ذلك على التنازل عن إمارة أنطاكية ولكي تصبح تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية.

قام الصليبيون بتنفيذ معاهدتهم مع الإمبراطورية البيزنطية ورفضوا التنازل عن أنطاكية لهم بشكل كامل، فحصل بينهم خلافاً وقد كان الحكام بلاد الشام مستائين من الصراع الدائر على إمارة أنطاكية والذي أخذوا بالبحث عن حليف للوقوف إلى جانبهم ضد الهجوم المشترك عليهم، فجرى صراع كبير بين الصليبيين والمسلمين والذي نتج عنه هزيمة المسلمين في تلك المعركة، فقام المسلمين بتجهيز جيوشهم مرةً أخرى بشكل أكبر والذين تمكنوا من هزيمة الصليبيين والذي لم يستطيعوا الصمود أمام قوات المسلمين ودفعهم ذلك النصر إلى التراجع بعد خسارتهم الكثير من القتلى.

بعد تلك الهزيمة التي تعرض لها الصليبين أصبحت أنطاكية تابعة للمملكة الصليبية التي تم تأسيسها في بلاد الشام.

“مملكة بيت المقدس. الكاثوليكية”، قام حاكم حلب الأمير “نور الدين زنكي” بغزو أنطاكية وسعى في السيطرة عليها وتخليصها الحكم الصليبي، فتمكن من السيطرة على بعض الأجزاء فيها، ولكنها من لم يتمكن من السيطرة عليها والتي أصبحت تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية، وقد أصبحت الإمبراطورية البيزنطية مسيطرة على أنطاكية بشكل كامل وأخذ البيزنطيون يجهزون جنودهم من الجيوش الأنطاكية، والتي أصبحت كلاَ من أنطاكية والإمبراطورية البيزنطية يشكلون تحالف معاً.

تم فك التحالف بعد ذلك بين الإمبراطورية البيزنطية وأنطاكية؛ وذلك بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي، فأخذت القوات البيزنطية بسحب قواتها العسكرية من أنطاكيا ورفعت عنها الوصاية التي كانت مفروضة عليها، فبدأت أنطاكية بالتعرض للهجمات من الأساطيل الإيطالية، كما بدأت الصراعات بين دول الفارس ودولة المماليك في السيطرة على أنطاكية، فقامت أنطاكية خلال ذلك الصراع بالوقوف إلى جانب الفُرس في ذلك الصراع؛ ممّا أدى إلى غضب الملك “الظاهر بيبرس” والذي قرر الهجوم على أنطاكية والعَمل على السيطرة عليها.

قام "الظاهر بيبرس" بعملية تجهيز جنوده قام بغزو أنطاكية والذي قام بتقسيم جنوده وتمكن من محاصرة أنطاكية حتى تمكن من الدخول والسيطرة عليها، وقام بجمع الذهب والغنائم ووزعها بين الناس، ويعتبر سقوط انطاكية بيد "الظاهر بيبرس" من أقوى الهزائم التي تعرض لها الصليبيين أثناء حملاتهم الصليبية، والذي يعتبر سقوطها نهاية لحكم الصليبين في المنطقة.

الفصل الثالث
كونتية طرابلس
(1109-1289)

Sultanate of Rúm
Konya
Principality of
Armenian Cilicia
Sis
Tarsus
County of Edessa
Turbessel
Harran
Aleppo
Byzantine Empire
Principality of
Antioch
Harran
1104
Assassins
Euphrates
County of
Tripoli
Mediterranean Sea
Emirate of Damascus
Kilometers
Miles
100
Acre
Kingdom of
Jerusalem
Ascalon
1099
Fatimid
Caliphate
of Cairo
Near East
1135
between the First &
Second Crusades

كونتية طرابلس (County of Tripoli (1109 – 1289)، كانت آخر الدويلات الصليبية.[1] تأسست في بلاد الشام، وهي الآن منطقة طرابلس الواقعة شمال لبنان ومناطق من غرب سوريا، وكان سكانها الأصليين من المسيحيين، الدروز، والمسلمين.[1](p. 7)[2](p. 328) عندما قام الصليبيون، (المسيحيون، معظمهم قوات فرنسية)، بالإستيلاء على المنطقة عام 1109، أصبح برنار من تولوز أول كونت لطرابلس. كان تابع لبالديون الأول من القدس. منذ ذلك الوقت، كان حكم الكونتية تقرر ألا يكون حكمها بالإرث لكن كان معتمداً على عوامل مثل القوة العسكرية (خارجية والحرب الأهلية)، بما في الصالح وبعد المفاوضات. عام 1298، أسقط قلاوون سلطان المماليك في القاهرة كونتية طرابلس. وأُدمجت الكونتية في الامبراطورية الاسلامية.

ريمون الرابع، كونت تولوز

ريمون الرابع من تولوز Raymond IV of Toulouse (ح. 1041 أو 1042 – 1105)، ويسمى أحياناً ريمون من سان جيل، هو دوق تولوز، دوق ناربون، ومارگراڤ پروڤانس، وأحد قادة الحملة الصليبية الأولى. وهو ابن پون من تولوز وألمودي ده لا مارش. حصل على لقب سان-جيل، ولقب "كونت" من والده وخلف ابنة أخيه فليپا، دوقة أكويتين، ابنة أخيه وليام الرابع، عام 1094 في إرث تولوز.
حسب مصدر أرميني، فقد عينه أثناء الحج إلى بيت المقدس قبل الحملة الصليبية الأولى، لكنه هذا الأمر قد يشير إلى حقيقة أنه بعين واحدة (أعور). حارب المورو في إسپانيا قبل عام 1096، وكان أول من ينضم إلى الحملة الصليبية بعد عظة الپاپا أوربان الثاني في مجلس كليرمون.

استولى على قلعة الحصن الواقعة غرب حمص. حاول زعزعة ملك منافسيه بالعمل على ضم إمارة أنطاكية إلى الامبراطورية البيزنطية. شارك في حملة القلوب الضعيفة عام 1101، حيث هزم في معركة مرسيڤان وفر بأعجوبة الى القسطنطينية.

عام 1102 سافر من القسطنطينة إلى أنطاكيا حيث سجنه وصيها تانكرد (حيث كان حاكمها الأصلى بوهمند أسيراً لدى الأتراك). بعد اطلاق سراحه أسس نواة ما عرف لاحقاً بكونتية طرابلس خلال تشييده حصن في عرقا ليحدّ من سيطرة بوهيموند حاكم أنطاكيا. توفى عام 1105 قبل سقوط طرابلس وخلفه قريبه وليام جوردان.

الفصل الرابع
مملكة بيت المقدس
(1291–1099)

مملكة بيت المقدس

نشأت مملكة بيت المقدس فى بلاد الشام فى عام 1099 بعد الحملة الصليبية الأولى، وشكلّت أكبر ممالك الصليبيين فى الشرق وقاعدة عملياتهم، واستمرت فى الوجود نحو قرنين من الزمن، حتى تمّ فتح جميع أراضيها فى عثليث وعكا من قبل المماليك عام 1291.

مع بدايتها، كانت المملكة عبارة عن مجموعة من البلدات والقرى التى فتحت خلال الحملة الصليبية الأولى، ثم توسع حجمها وبلغت ذروة نموها فى منتصف القرن الثانى عشر؛ حدود المملكة شملت ما يقرب فى العصر الحديث جميع أراضى فلسطين التاريخية إضافة إلى لبنان وأجزاء من الأردن وسوريا وسيناء، فضلاً عن محاولات لتوسيع المملكة نحو مصر التى كانت حينذاك تحت قيادة الخلافة الفاطمية، كانت المملكة فى حالة تحالف مع الممالك الصليبية الأخرى فى المشرق أى إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس وذلك بحكم الأمر الواقع.

سكنت المملكة، وتأثرت عاداتها ومؤسساتها، بالوافدين من أوروبا الغربية، وكان هناك على الدوام اتصالات وثيقة، من الناحية العائلية والسياسية مع الغرب طوال عُمر المملكة، غير أنها وكمملكة صغيرة نسبيًا غالبًا ما افتقرت إلى الدعم المالى والعسكرى المتواصل من أوروبا، وسعت المملكة فى رأب ذلك لإقامة علاقات مع الممالك الشرقية المسيحية كالإمبراطورية البيزنطية وأرمينيا. وإلى جانب العادات والمؤسسات الغربيّة فقد تأثرت المملكة اجتماعيًا بالعادات والتقاليد الشرقية؛ سكان المملكة إلى جانب الوافدين الفرنجة كانوا بشكل أساسى من المسلمين والأرثوذكس الشرقيين واليهود، وعمومًا شكلت هذه العناصر طبقة سفلى مهمشة فى الإدارة والحقوق العامة.

تحالفت المملكة خلال بدايتها مع سلاجقة الشام، ومع القرن الثانى عشر برز نور الدين زنكى ثم صلاح الدين الأيوبى وأنشأ مملكة مترامية الأطراف تشمل بلاد الشام ومصر والحجاز مطبقين بذلك على المملكة من جميع حدودها، ومن ثم فقدت المملكة عاصمتها القدس ومدنًا أخرى عام 1187 خلال الفتوح التى قادها صلاح الدين الأيوبى ضدها.

واستطاعت الحملة الصليبية الثالثة تحقيق القليل من الانتصارات من خلال استعادة الساحل الفلسطيني، لتصبح عكا بدلاً من القدس عاصمةً للمملكة، عانت المملكة من عدة مشاكل فى وراثة العرش، وخلال تاريخها آل الحكم لأكثر من عائلة واحدة ولم تنحصر فقط فى عائلة جودفرى أول ملوكها، ولعلّ الخلاف الذى نشأ فى أعقاب خسارة القدس هو أكبر السجالات حول طرق انتقال العرش.

شهدت المملكة فى طورها الثانى تعزيزًا للعلاقات مع سائر الممالك الصليبية فى طرابلس وأنطاكية وكذلك أرمينيا والبندقية وجنوة، واطلعت المملكة بدور سياسى هام فى المشرق خلال اقتتال ورثة صلاح الدين حول اقتسام أراضى وأملاك والدهم، فضلاً عن تحالف مع المغول أواخر أيامها؛ غير أنّ ذلك لم يمنع فى نهاية المطاف سلاطين المماليك الظاهر بيبرس والأشرف خليل من استعادة جميع المعاقل الصليبية الباقية تحت سلطتها، وإزالة المملكة نهائيًا عام 1291.

الفصل الخامس

ملخص عام

قصة الحروب الصليبية

الحروب الصليبية هي سلسلة الحروب التي شنَّها المسيحيون الأوربيون على الشرق الأوسط للاستيلاء على بيت المقدس، ومنذ أن انتصرت القوات الإسلامية على القوات البيزنطية في معركتي اليرموك وأجنادين في عام 13 هجريًا، منذ ذلك الوقت والإسلام يهاجم الصليبيين ويفتح أراضيهم، وظل الصليبيون يترقبون الفرصة والزمن المناسب للأخذ بالثأر ورد الفعل، وهكذا كانت أحسن الفرص للانتهاز في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فحدث هذا الهجوم الصليبي الشرس على بلاد المسلمين واستمر قرنين من الزمان، وما هو في حقيقة الأمر إلا استمرار للصراع الطويل الذي قام منذ العصور القديمة بين الشرق والغرب، واتخذ في كل عصر شكلًا معينًا يتلاءم مع مقتضيات الظروف، هذا الهجوم الصليبي الشرس كان يحمل الحقد على الإسلام والمسلمين، ولذا ارتكب جرائم بشعة جدًا وأهلك الزرع والضرع أثناء سيره.

حالة المجتمع الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

كانت حالة المجتمع الإسلامي قبيل نشوب الحروب الصليبية حالة يرثى لها من الفوضى والانحلال، فمصر الفاطمية كانت نهبًا للثورات والمنازعات الداخلية، ولم تكن تسكن فيها الفتنة حتى تنشب الأخرى، كما كانت المجاعات والأوبئة تنهك من قواها، أما الخلافة العباسية فلم تكن أحسن حالًا حيث كانت تسيطر عليها الثورات، كما كان يسودها حالة من الفتن المذهبية والحوادث التي تملأ البلاد رعبًا وهولًا، إضافة إلى الضعف الشديد الذي كان يتسم به الخلفاء الذين تولوا الحكم خلال هذه الفترة.

أيضًا الدولة السلجوقية التي امتدت امتدادًا عظيمًا في عهد عظماء سلاطينها لم تدم عظمتها كثيرًا وانقسم البيت السلجوقي على نفسه، ولم يكن وضع المجتمع الإسلامي في إفريقيا والأندلس أفضل، بل اشتعلت الثورات والمعارك.

والاضطرابات الداخلية من ناحية، وعم الفساد والفتن من ناحية أخرى، وهكذا انتهز الصليبيين الفرصة السانحة التي كان ينتظرونها منذ زمن بعيد، وهكذا ما حان موعد الحروب الصليبية حتى كان المشرق الإسلامي في غاية الفوضى والارتباك والتنازع.

الدعوة للحروب الصليبية

في سنة 480هـ= 1088م تولى الكرسي البابوي البابا أوربان الثاني، وكان أوربان الثاني هذا رجلًا له طموح كبير وأحلام واسعة بأن يكون هو الزعيم الأكبر والأوحد للمسيحيين جميعًا في العالم، وذلك من خلال توحيد الكنيستين الغربية والشرقية، وسرعان ما أتته الفرصة لتحقيق هدفه، ففي سنة 487هـ= 1095م أرسل إليه الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين وفدًا يطلب منه المساعدة لنصرته ضد السلاجقة المسلمين، فتحمَّس البابا كثيرًا لهذا الطلب وأخذ يُعِدَّ العدة لأخذ التدابير اللازمة لغزو الشرق الإسلامي.

عقد البابا أوربان الثاني مؤتمرًا موسعًا في مدينة كليرمون الفرنسية دعا.

فيه الملوك والأمراء وعامة الشعب إلى التوجه عسكريًّا إلى الشرق الإسلامي، وقد لبَّت جموع هائلة من الناس دعوة البابا، بل إن البابا تواصل بنفسه مع المجامع الدينية، وقام بتكليف أحد الرهبان ويُدعى بطرس الناسك بالقيام بجولات مكثفة في أوربا لتحميس الناس، وجعل الثالث والعشرين من شعبان سنة 489هـ/ الخامس عشر من أغسطس سنة 1096م، هو الموعد المحدد لجمع المقاتلين في القسطنطينية لغزو الشرق الإسلامي.

أسباب ودوافع الحروب الصليبية

للحروب الصليبية عدة أسباب ودوافع، والمؤرخين والمحللين انقسموا في ذلك إلى فرق شتى، فمنهم من يؤكد الدافع الديني، وآخرون يؤكدون الدوافع الاقتصادية، وفريق ثالث يؤكد الدوافع السياسية، وفريق رابع يؤكد الأبعاد الأخلاقية لهذه الحرب، وهذه بعض الدوافع:

أولاً: الدافع الديني:

كان الدافع الديني للحروب الصليبية واضحًا عند البابا، والقساوسة والرهبان، وعند بعض الأمراء والقوَّاد، كما أنه كان الهدف المعلن للحرب، فإنقاذ الدولة البيزنطية من المسلمين كان السبب المتداول بين الناس وذلك لتحميس الجيوش والشعوب.

ثانيًا: الدافع الاقتصادي:

الدافع الاقتصادي أيضًا من أهم الدوافع للحروب الصليبية، فالجموع الهائلة من العامة خرجت لإحباطها التام من الحصول على أي قسط من رغد الحياة في أوربا، كما أن الأمراء الإقطاعيون ما خرجوا إلا من أجل الثراء والتملك، لأن القانون الأوربي آنذاك كان يمنع تقسيم الميراث على كل الأبناء، بل كانت تنتقل الإقطاعية بكاملها إلى الابن الأكبر بعد وفاة الأب الأمير.

ثالثًا: الدافع السياسي:

أما الدافع السياسي كان دافعًا رئيسيًّا عند البابا أوربان الثاني نفسه، فكان يطمح بأن يكون هو الزعيم الأكبر والأوحد للمسيحيين جميعًا في العالم، ولذلك كان يرى أن فرصته لتحقيق هدفه هي انتصاره على المسلمسن وتوحيد الكنيستين الغربية والشرقية تحت زعامته.

أيضًا كان ملوك أوربا يرون أن الدولة البيزنطية دخلت طورًا من أطوار الضعف، ولو سقطت فإن هذا قد يضعهم بين قوتين من المسلمين، السلاجقة في الشرق والمسلمين في الأندلس؛ لذلك سارعوا للمشاركة، بل ذهب بعضهم بنفسه على قيادة جيشه.

رابعًا: الدافع الاجتماعي:

كان الفلاحون والعبيد في أوربا قبيل الحروب الصليبية، يعيشون حياة مذلة ولم يكن لهم حقوق بالمرة، ولذلك رأى العوام الفلاحون في أوربا أن هذه فرصة لتغيير نظام حياتهم، والخروج المحتمل من قيود العبودية المذلَّة؛ ولذلك خرج الفلاحون في الحروب الصليبية بنسائهم وأولادهم.

سلسلة الحروب الصليبية

لم تكن الحروب الصليبية معروفة بهذا الاسم طيلة الفترة التي حدثت فيها، وكان الجميع يطلق عليها أسماء أخرى مثل: الحملة، أو رحلة الحجاج، أو الرحلة للأراضي المقدسة، أو الحرب المقدسة، ويبلغ عددها ثمانية حروب.

الحرب الصليبية الأولى (490- 493هـ= 1096- 1099م)
بدأت هذه الحرب بكتائب شعبية من المشاة والنساء والأطفال بقيادة بطرس الناسك، إضافة إلى جمع عظيم من الجنود يشمل مئات الآلاف بقيادة أربعة من كبار القادة في أوربا، وقد نعت بعضهم قوة الجيش الصليبي بقوله " كانت الجيوش الصليبية عبارة عن شعب كامل يسير"، و" يخيل أن أوروبا اقتلعت من أصولها"، واستولت الجيوش الصليبية على مدينة نيقية عاصمة السلطان السلجوقي قلج أرسلان، ثم استولت على الرها وأنطاكية وبيت المقدس وعكا وطرابلس.

وكان من أهم أسباب نجاح الصليبيين في احتلالهم لتلك المدن ما كان عليه المجتمع الإسلامي من الانحلال والنزاع، حيث كان الأخوة ملوك آل سلجوق (بار كيارق، محمد، سنجر) لاهين بالحروب الداخلية العائلية فيما بينهم، والخليفة العباسي المستظهر لم يجتهد في التأليف بين هؤلاء الاخوة الثلاثة والاتحاد معهم على محاربة الصليبيين.

الحرب الصليبية الثانية (542- 544هـ= 1147- 1149م)

دعا إليها الراهب الفرنسي سان برنارد بعد أن استولى عماد الدين زنكي على مدينة الرها، نظرًا لما لهذه المدينة من الحرمة والقداسة عند الصليبيين، وكان عماد الدين زنكي حينئذ يتزعم الدفاع عن الإسلام، ولكنه تُوفِّى قبل أن يطرد الصليبيين، وخلفه ابنه نور الدين محمود الذي هيَّج بانتصاراته عواطف أوروبا، فأُعلنت هذه الحرب بقيادة كونراد الثالث ملك ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا لتتصدى له، ولكنها باءت بالفشل لاحتدام الخلاف بين قادتها.

الحرب الصليبية الثالثة (585- 590هـ= 1189- 1193م)

قادها ثلاثة من أشهر ملوك أوربا وهم ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا، وفيليب أغسطس ملك فرنسا، وفريدريك بربروسا إمبراطور ألمانيا، وكان مصير هذه الحرب الفشل بسبب غرق إمبراطور ألمانيا وموته في النهر وهو في الطريق، فتشتت جيشه من بعده، بينما نشب الخلاف بين ملك فرنسا وملك إنجلترا، ومن ثم رحل ملك فرنسا إلى بلاده، وظل ريتشارد يقاتل صلاح الدين الأيوبي إلى أن تم توقيع صلح الرملة بين الطرفين في سنة 588هـ= 1192م، وكان صلاح الدين هو الذي تسلم راية الجهاد ضد الصليبيين بعد نور الدين محمود وقد انتصر عليهم في معركة حطين الفاصلة التي فتحت الطريق لتحرير بيت المقدس في سنة 583هـ= 1187م.

الحرب الصليبية الرابعة (599- 604هـ= 1202- 1204م)

كان الدافع لهذه الحرب هو الدافع العام للحروب التي سبقتها، وهو دافع استرجاع بيت المقدس من المسلمين، وقد أثيرت هذه الحرب تحت إشراف البابا اينوسان الثالث، وكان داعيتها فولك دونويي، واستجاب لدعوته كثير من الإقطاعيين والأشراف بفرنسا، وكان عزم الصليبيين أن يتجهوا إلى مصر باعتبارها صاحبة السيادة على بيت المقدس، إلا أنها اتجهت نحو القسطنطينية واحتلتها، ولكنها لم تلقى غرضها وفشلت، بل أظهرت للناس أن الحروب الصليبية كانت وحشية ومعبأة بالحقد والضغينة على المسلمين وكان من نتائجها أن ترك بعض الصليبيين بلاد الشام واتجهوا إلى قبرص واليونان، كما زادت من الخلاف بين النصارى البيزنطيين والنصارى الغربيين.

الحرب الصليبية الخامسة (614- 618هـ= 1217-1221م)

دعا إليها البابا هونوريوس الثالث، وكان هدفها الاستيلاء على مصر، وقيل: إنقاذ بيت المقدس واستخلاصها من أيدي المسلمين، وكانت بقيادة دوق النمسا ليوبولد الثاني وملك المجر أندرو الثاني، حاصر الصليبيون خلالها دمياط مدة طويلة، ولكن في النهاية ركنوا إلى الاستسلام والانسحاب بدون مقابل، ورحلوا جميعًا عن أرض مصر ولم يحققوا شيئًا.

الحرب الصليبية السادسة (626- 627هـ= 1228-1229م)

كانت الحربة الصليبية السادسة بزعامة إمبراطور ألمانيا الأنبرور فريدريك الثاني وكان سياسيًا داهية فلم يدخل في حرب مع المسلمين، بل فاوض الملك الكامل الأيوبي سلطان مصر حينذاك، وانتهت الحملة بعقد معاهدة كان من شروطها: التخلّي عن الناصرة وبيت لحم والقدس للصليبيين، واستمرت هذه المعاهدة عشر سنين إلى أن تُوفِّى الملك الكامل سنة 1239م وخلفه ابنه الملك الصالح الذي أعلن الحرب على الصليبيين، واحتل بيت المقدس ليعيدها إلى حوزة الإسلام مرة أخرى.

الحرب الصليبية السابعة (646- 652هـ= 1248- 1254م)
كان لاسترجاع الملك الصالح بيت المقدس رد فعل في أوروبا، فدعت الكنيسة لهذه الحرب عندما رأت ضعف المسلمين واختلاف بعضهم مع بعض، وتولى قيادتها لويس التاسع ملك فرنسا وتوجه إلى مصر وتمكن من احتلال دمياط، وفى هذا الوقت تُوفِّى الملك الصالح سلطان مصر، إلا أنَّ زوجته شجرة الدر أخفت موته وأخذت تُصدر الأوامر باسمه حتى انهزم الصليبيون وأُسر قائدهم لويس التاسع هو وجميع من معه من الرجال ولم يُطلق سراحه إلا بعد أن دفع فدية عظيمة عن نفسه وعن جماعته، وتعهد بأن لا يعود إلى مصر.

الحرب الصليبية الثامنة (669هـ= 1270م)

عاد لويس التاسع إلى فرنسا ونسي ما قطعه من عهد بعدم الرجوع إلى محاربة المسلمين وقرر أن يقوم بحرب صليبية أخرى وكانت وجهته هذه المرة إلى تونس، وهنا يختلف المؤرخون فقيل: أنَّ لويس التاسع مات وهو في الطريق، وقيل: أنه وصل إلى تونس وقاتله المسلمون قتالًا شديدًا، وطالت محاصرة الصليبيين حتى نالهم التعب، وتفشَّت فيهم الأمراض والأوبئة ولم يسلم لويس التاسع نفسه من الوباء فمات بالطاعون، ثم بعد موته جرت المفاوضات بين الطرفين انتهت بهما إلى الاتفاق والصلح.

تلك ثماني حروب أغار بها الغربيون على الشرقيين مدة قرنين من الزمان أفنى بعضهم بعضًا، ثم تحرر الشرق الأدنى وانسحب الصليبيون، ولكن بعد أن تركوا الديار الإسلامية خرابًا يبابًا.

نتائج الحروب الصليبية

فشل الصليبيون في استعمار الشرق الإسلامي خلال العصور الصليبية التي دامت قرنين من الزمان، ولكنهم كسبوا ألوانًا من الفوائد الثقافية والدينية والاجتماعية منها:

- اقتباس الثقافة الإسلامية، وتصحيح فكر الغربيين عن المسلمين.
- أخلاق جديدة عاد بها الصليبيون إلى أوربا بعد هذه الحروب.
- أيضًا تقليد المسلمين في التجارة والصناعة وصك النقود.
- وضعت الحروب الصليبية نواة الاستشراق، وانتهى بانتهائها النظام الإقطاعي.
- كانت الحروب الصليبية عاملًا هامًا من عوامل تحرير رقيق أوربا.
- أدرك المسلمون أن هزائمهم الأولى كانت بسبب جهلهم بمعرفة أخبار عدوهم ولذلك عملوا على تلافي هذا النقص باستقصاء أخبار الصليبيين.
- من نتائج هذه الحروب أيضًا إلحاق الضرر بالمسلمين كتدمير المدن الإسلامية، كما فتَّحت هذه الحروب عيون الأوربيين على الاستعمار للبلاد العربية والإسلامية.

النـهايـة

الفهرسة

العنوان.....1
اهداء.....2
المقدمة.....3_4
الفصل الأول....5_17
الفصل الثاني18..._28
الفصل الثالث29_34
الفصل الرابع..35_40
الفصل الخامس.4_55
النهاية.....57
الفهرسة5.....59_
المراجع.....60
الصورة.....61

مصطفى وهبه (1997)، موجز تاريخ الحروب الصليبية (الطبعة الأولى)، المنصورة: مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، صفحة 21-26. بتصرّف. ^ أ ب ت "مملكة الرها"، www.marefa.org، اطّلع عليه بتاريخ 18-07-2019. بتصرّف. ^ أ ب "الفتح الإسلامي للشام"، www.marefa.org، اطّلع عليه بتاريخ 18-07-2019. بتصرّف. ^ أ ب "كونتية الرها"، www.wikiwand.com، اطّلع عليه بتاريخ 18-07-2019. بتصرّف. ^ أ ب ت "قصة تحرير الرها من الصليبيين"، www.islamstory.com، اطّلع عليه بتاريخ 18-07-2019. بتصرّف.

"ملك-مم/https://m.youm7.com/amp/2021/4/28
لكة-بيت-المقدس-زمن-الصليبيين-تعرف-على-نشأتها-وسقوطها
5297048/" https://m.youm7.com
https://sotor.com

"ما هي إمارة أنطاكية؟ – e3arabi – إي عربي"

"ريمون الرابع، كونت تولوز - المعرفة"
/https://m.marefa.org
"قصة الحروب الصليبية- محطات تاريخية- التاريخ
الإسلامي| قصة الإسلام"
https://islamstory.com/ar/artical

[1] محمد كُرد علي: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، 1403هـ= 1983م، 1/ 247- 276، 2/ 17- 300، وراغب السرجاني: كتاب قصة الحروب الصليبية، ومحمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1982، ص45- 197، ومحمد جميل بهيم: فلسفة التاريخ العثماني، مكتبة صادر، بيروت، 1334هـ= 1925م، ص83- 87، ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1421هـ= 2000م، 6/ 316- 323، وأحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، 1986، 5/ 793- 805.